



رسائل الثورة السورية المباركة (84): الرابطة الطبية: صرخ ثوري عظيم

ليس من عادي أن أمدح شخصاً أو جماعة، فإن هذه المقالات ما أُنثِيتُ إلا للثورة ولا يحقّ لي أن أثني فيها على أحد بعينه، لكنني سأخالف القاعدة في هذه المقالة فأخصّصها لتعريف القراء بصرخ ثوري عظيم، هو الرابطة الطبية، بشقيقها: "الرابطة الطبية للمغتربين السوريين" التي تتحرك في الغربة والشتات، وامتدادها الذي يضم "اتحاد الأطباء الأحرار" وغيره من الهيئات الطبية العاملة داخل سوريا المحتلة، لأن هذه الرابطة هي -فيما أرى- أفضل وأكمل نموذج من نماذج العمل الجماعي الثوري السوري، وقد بلغت مبلغاً كبيراً من التنظيم فصارت تضم جيشاً من الأطباء ينتشرون في عدد من الفارات، في الأردن ودول الخليج وسواها من الدول العربية، وفي تركيا وبعض دول أوروبا وأمريكا الشمالية، ولا أعرف عملاً من أعمال الثورة اجتمع أصحابه في كيان واحد ونَجَوا من علة التحزب والتعدد والاختلاف إلا العمل الطبي ممثلاً بهذه الرابطة.

منذ البداية كشف النظام المجرم عن خطة من أخبث الخطط وأكثراها شرًّا، فهو لم يحرص فقط على استهداف ثوار الحرية مُوقعاً فيهم جرحى وشهداء، بل حرص أيضاً -وبشراسة أشدّ- على حرمان الجرحى والمصابين من العلاج، إما ل تكون جراحهم طريقاً إلى الموت، أو ل تكون باباً من أبواب العذاب.

تلك الخطة نقلت -تلقائياً- **الجهاز الطبي المستقل والمحايد إلى صف الأعداء**، فيما أن الأطباء -وسائل الطاقم الطبي من مسعفين وممرضين- تأبى عليهم ضمائرهم الحرمة -فضلاً عن مهنتهم النبيلة- إلا أن يبذلوا غاية الجهد في الإسعاف والعلاج، وبما أن إسعاف مصابي الثورة وعلاجهم جريمة في عرف النظام المجرم، فقد صار الأطباء والممرضون والمسعفون الأحرار مجرمين! ولم يكن غريباً أن يصيّبهم من القمع والتنكيل الكثير، حتى قارب عدد شهدائهم الأربعين وزاد عدد معتقلاتهم على المئتين، وما زال النظام المجرم يصعد هجمته الشرسة على أولئك الأحرار حتى بلغ عدد من هم في الأسبوع الأخير وحده سبعة عشر طبيباً، بالإضافة إلى بعض الشهداء، عليهم رحمة الله.

لقد صارت مهنة الطب في سوريا باباً من أبواب الشهادة، فما أكثر الذي استشهدوا من الأطباء والمسعفين، منهم من عرفناهم بأسمائهم، كطبيب حماة الشهيد إبراهيم ناهل عثمان، وممرضة الضمير الشهيدة مها حسن عرفات، ومنهم من لم نعرف، كالأبطال الثلاثة الذين استشهدوا هذا الأسبوع وهم ينقلون الدواء. أولئك الأبطال، ناقلو الدواء، جنود مغمورون في

جيش الثورة، لو لم نعرفهم فإن الله يعرفهم، أسأله -عز وبارك- أن يحفظهم من كل سوء وأن يجزل لهم الثواب.

إن الطب هو أكثر المهن استهلاكاً ل أصحابها، لأن الطبيب يتعامل مع أحيا لا مع جوامد، فهو مضطرك إلى متابعة حالة المريض باستمرار والاستجابة لنداء الطوارئ في أي وقت من ليل أو نهار، ومع ذلك فقد رأيت من أطباء "الرابطة" الذين أعرفهم نشاطاً وهم يثيران الإعجاب، فإنهم في عمل دائم وحركة متصلة منذ شهور طوال، لا يتعبون ولا يفترون، لا يكاد الواحد منهم يَرَوْب من سفر حتى يعود إلى سفر، يجهزون المشافي ويؤمنون المعدات ويوفّرون الأدوية ويعالجون المرضى والمصابين في دول الجوار، كل ذلك طوعاً واحتساباً، وفوقه زيادة، فإنهم قد ألموا أنفسهم بتشخيص جزء من مواردهم المالية لهذا العمل الإنساني النبيل.

إنهم من جنود الثورة الأخفاء، بل إنهم من أكثر جنود الثورة فائدة للثورة؛ لن تعرفوهم بأسمائهم لتشكرهم فادعوا لهم بظهر الغيب، ولئن لم تعرفوهم فإن الله يعرفهم وهو أعلم بأعمالهم، ولا تضيع عند الله ذرة فما فوقها من عمل صادق مخلص؛ يوم الجزاء يجدون أعمالهم في الميزان -إن شاء الله-. ولقد بلغت الحماسة وبلغ الإخلاص بأحدهم أنه استقلَ ذلك الجهد الخير -على عظمته وكثير نفعه للثورة-. وأبى إلا أن يكرس نفسه لعلاج الجرحى في الميدان، قال: أريد أن أذهب ولا أعود... وهو اليوم في حمص يداوي الجرحى تحت القصف، الله يعلم أيعود حياً أم يُستشهد في جملة الشهداء.

على أن من واجبنا أن لا نترك أولئك المحاربين الأبطال وحدهم، فماذا نستطيع أن نفعل لمساعدتهم؟ أحسب أننا نستطيع أن نفعل الكثير، ولا سيما أبناء الغربة والشتات الذين حُرموا من المشاركة المباشرة في الثورة على الأرض، **فليشاركوا في هذا العمل الإغاثي الجليل، وهذه بعض أبواب المساعدة الممكنة:**

(1) إن القطاع الطبي من أكثر القطاعات جوهريةً وأهمية في قدرة الثورة على الاستمرار والبقاء، وهو قطاع مستهلك، ففي غياب الرعاية الطبية الرسمية -حيث تحولت المشافي إلى معتقلات ومسالخ- صارت المشافي الميدانية ضرورة من ضرورات الحياة. وقد علم العدو أهميتها ودورها في مدّ الثورة بأسباب الصبر والبقاء فجعلها في رأس أهداف حملاته الباغية، وما نزال نسمع عن تدمير مشارف ميدانية في حمص وحماء وإدلب ودرعا وريف دمشق، وكل واحد منها يحتاج إلى إعادة بناء، وهو يكلف نحوً من أربعين ألف دولار. فضلاً عن الأدوية والمستلزمات الطبية -الشاش والأربطة وخيوط الجراحة وأكياس الدم وما في حكمها-، وهي تستهلك الكثير من المال بسبب الحجم الهائل للإصابات في المناطق المنكوبة. إذن؛ فإن المال هو أول ما يستطيع أي واحد منا أن يساهم به، يستوي في ذلك السوري وغير السوري، وللرابطة حساب رسمي مسجل في فرنسا يستطيع من شاء التحويل إليه ولا يأس عليه، لأنه عمل إغاثي طبي مشروع -برأيهم- لا ينكره أحد. هذا هو اسم الحساب ورقمه:

AMDES

IBAN FR76-3000-3037-2000-0505-9225-626

(2) ربما يكون قد اقترب اليوم الذي تُعلن فيه حالة الإغاثة الطبية الكارثية لـسعاف مصابي الثورة السورية في مخيمات طبية إسعافية في المناطق الحدودية العازلة، وعندها يستطيع من شاء من الأطباء -من السوريين ومن غير السوريين- أن يتبرع بوقته فيشارك بنفسه في تلك المخيمات.

وقد علمت أن الرابطة تسعى الآن للحصول على الإذن من بعض دول الجوار، بحيث يستطيع الأطباء السوريون تقديم خدمتهم إلى اللاجئين وإجراء العمليات للمصابين والجرحى منهم، ويبدو أن الإذن وشيك أو أنه قد صدر فعلاً في تركيا والأردن كما سمعت، وإن فإن الباب صار مفتوحاً -أو يوشك-. لمن أراد من الأطباء أن يتبرع ببعض وقته، أسبوع أو

أسبوعين، حيث يمكنه أن يساهم في علاج مصابي الثورة الذين نُقلوا إلى تلك البلدان، ولعل أشد الحاجة وأمسّها هي إلى الجراحين، ولا سيما جراحِي العظام والأعصاب. من شاء المساهمة فليتواصل مع الرابطة على موقعها الرسمي أو صفحتها الفيسبوكية.

(3) الكتاب والإعلاميون يستطيعون تقديم المساعدة بنشر أخبار الرابطة في بلدانهم باللغات المختلفة، وسوف يساهمون في تحريك الرأي العام -ولا سيما في البلدان الغربية- بالتركيز على أخبار الانتهاكات والجرائم التي يرتكبها النظام بحق المشافي والمرضى والأطباء على السواء. إن التركيز المتكرر على تلك الجرائم مفيد جداً لأن المستقر في ضمائر الغربيين هو احترام المهنة ومراعاة آدابها وقواعدها وتحييد الكوادر الطبية ومنشآتها في زمن الحروب، وهذه النظرة الخاصة عندهم هي التي سهلت إنشاء منظمات طبية عالمية بدأت في الغرب وانتشرت في بقية دول العالم، كالصليب الأحمر ومنظمة أطباء بلا حدود.

قرأت فيما قرأت عن الحرب العالمية الثانية أن طبرق كانت تقع على خط الصراع فاصلةً بين منطقة النفوذ البريطاني شرقها والنفوذ الألماني غربها، وبسبب موقعها ذاك فقد تعاقد عليها الطرفان مرات عديدة، فكانت كلها ساحة حرب إلا المستشفى الذي أنشأه البريطانيون، فقد استمر يتابع عمله طول الوقت غير عابئ بالحرب التي تجري خارجه ومن حوله. ذات مرة وفي جولة من جولات الغلبة الألمانية دخل الجنرال رومل إلى المستشفى البريطاني الذي كان يستقبل ويعالج جرحي الطرفين، قال الراوي: **خِيم الصمت على الجميع** حينما ظهر بالباب الجنرال الشهير المرهوب، وراح يحذّق إلى أسرة الجرحى، ثم دنا من جندي ألماني جريح وسأله سؤالاً مقتضباً وأصغى إلى رده بانتباه، ثم راح يمشي بين صفوف الأسرة ويسأل غيره من الجرحى الألمان، وأخيراً أومأ إلى الضابط البريطاني وقال: **"يُخْبِرُنِي رجالي أن علاجهم لا يختلف عن علاج جرحائكم البريطانيين، وأن الأدوية آخذة بالنفاد.** سأرسل كل ما تحتاجون إليه من الأدوية ولو الزم العلاج، فاستمروا في عملكم ولن يزعجكم أحد". وتم ما وعد به، وبقي المستشفى سالماً لم يمسه أحد، يقدم خدماته للطرفين في النصر والهزيمة على السواء.

رويَت هذه القصة لأؤكد المنزلة العالية التي يحظى بها الجهاز الطبي في العالم الغربي وما تعارف عليه القوم هناك من تحديد العاملين في هذا القطاع في أزمنة الحرب، وهذه النقطة تصلح قاعدة لحملة عالمية -متعددة اللغات-. من شأنها أن تقدم للثورة خدمة عامة وتزيد وضع النظام سوءاً في الإعلام الغربي، وتقدم خدمة خاصة لضحايا النظام من الأطباء المعتقلين، حيث تدعم حملات دولية -في أوروبا وأمريكا وحتى في روسيا نفسها- للضغط على النظام ضغطاً مركزاً في سبيل إطلاق سراح الأطباء وضمان سلامتهم من أي اعتقال لاحق.

يا أيها الناس، يا أهل الخير، يا عرب، يا مسلمون:

ادعموا هذه الرابطة بما تستطيعون، ادعموها اليوم قبل الغد، بل ادعموهااليوم وغداً وغداة الغد، فإن التبرع -ولو بالقليل- قد يكون فيصللاً بين الحياة والموت بالنسبة لإخوانكم من أهل سوريا المنكوبين. يا من حُرم المشاركة في الثورة على أرض الثورة، ها هي الفرصة تدق بابك لتكون من أهل الثورة ومن جُند الثورة، فلا تضيّعها، أكرّم بها من فرصة وأعظم بثوابها من ثواب.

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: